الخميس 25 يوليو/تموز 2024 م 19 محرّم 1446 هـ ◻ العدد 3615 السنة العاشرة
Thursday 25 July 2024

العربي الجديد

هوامش

يقع قصر ذو شكل غريب في منطقة تاكلسة بمحافظة نابل في تونس. يُسمى قصر الأمراء نسبة إلى منطقة مرسى الأمراء، أو قصر وسيلة نسبة إلى اسم زوجة الرئيس الحبيب بورقيبة

قصر الأمراء في نابل (العربي الجديد)

قصر الأمراء

إرث تاريخي في تونس يوشك على الانهيار

تونس ـ **مريم الناصري**

على هضبة تُطل على شاطئ مرسى الأمراء بمدينة نابل في تونس، لا يزال بعض صخور قصر الأمراء، أو قصر وسيلة كما يسميه البعض نسبة إلى اسم زوجة الرئيس السابق الحبيب بورقيبة التي أقامت فترة في القصر قبل نهاية حكم زوجها، متماسكاً ويحافظ على معالم بناء لم يتفق المؤرخون على تحديد تاريخ تشييده. يقول بعض المؤرخين إن المنطقة سُميت تاكلسة، وهي كلمة أمازيغية تعني ما فوق المرتفعات، فيما يعتقد آخرون أن الاسم يعني منطقة التوت الذي كانت تشتهر المنطقة بإنتاجه. ورغم التوافق على أنّ التسمية أمازيغية، يبقى المعنى غامضاً مثل تسميات عدة لا تزال من دون تعريف أو تفسير.

يقول البعض عن تاريخ القصر إنّه يعود إلى الفترة الرومانية، لكن المؤرخين لم يتفقوا على تاريخ تشييده، لا سيما أنّ وسيلة بورقيبة أحدثت فيه تغييرات حين أقامت فيه، إذ جمع المهندسون بين الطراز المعماري القديم للرومان والحديث على صعيد مواد البناء المستخدمة. ويختلف البناء المعماري للقصر عن قصور أخرى، إذ شُيّد على شكل حصن مثل تلك التي شيّدها الرومان سابقاً، وتطل شرفته العلياعلى امتداد البحر من واجهة القصر، وعلى امتداد أراضي الزيتون والمزارع من الجهة الخلفية. وليست الطريق إلى القصر معبّدة بل رملية توجد على جانبيها أشجار وأشواك نادرة. ويوحي كل شيء حالياً بأن الموقع خراب بخلاف السابق حين كان يعج بزوار راغبين في اكتشاف القصر. وتجعل لافتة منع الدخول المعلقة على المدخل الخارجي للقصر كثيرين يعدلون عن المغامرة بزيارة القصر ومحيطه، فقد أصبح شبه متداع ومهدد بالسقوط بعد انهيار أسقفه وبعضٍ جدرانه وتصدّع برجه.

وفي آخر الطريق المؤدية إلى القصر، توجد فسحة خارجية كبيرة تطل على البحر في شكل دائري. ويقول سكان المنطقة إن وسيلة بورقيبة نظمت سهرات خلال إقامتها في القصر، كما يقولون إن عائلة وسيلة تملك القصر، لكنه بات يتبع وزارة الثقافة حالياً، ويشرف عليه معهد حماية التراث. وبعد سنوات من الإهمال، سُرقت كل محتوياته، وانتشرت شائعات خرافية عنه، لكنه يظل ظاهرة معمارية يتوافد إليها كل من يزور تاكلسة، لا سيما أنّه قريب من البحر حيث يصطاف كثيرون. ويتضمن القصر قاعة فسيحة تطل على البحر تتمركز في أحد أركانها مدفأة من حجر، يقول حارس القصر إنّها شيّدت خلال إقامة وسيلة بورقيبة فيه، والتي شهدت أيضاً تركيب النوافذ والإضاءة والأرضية التي تحتوي على رخام وجليز وإصلاح السقف والجدران، أما اليوم فبات كل شيء مهترئاً والنوافذ مكسورة.

ويحتوي القصر على عدة غرف في الطابق الأرضي، وكذلك في الطابق العلوي الذي يتطلب الصعود إليه توخي الحذر في كل خطوة، لأن السلالم الخشبية مكسورة والفوهة الكبيرة مغطاة ببعض الخشب التي يوفر ممراً بسيطاً للصعود. ولم تحدث أي ترميمات منذ خروج وسيلة بورقيبة من القصر. وتطل كل الغرف الصغيرة في الطابق العلوي على البحر، خصوصاً تلك في أعلى البرج الذي يبدو كأنه برج مراقبة لكل منافذ البحر. ويتضمن القصر ممرات صخرية قيل أنّها كانت مخصصة لرسو السفن في المكان، خصوصاً سفن الأمراء الذين لم يتحدث المؤرخون عن هوياتهم. لا توجد في القصر أي محتويات أثرية قديمة أو أثاث، إذ سُرقت كل محتوياته، ولم يعرف مصيرها. ولا يختلف الشكل العام للقصر عن أي بناء روماني قديم، وشكل البرج الدائري يشبه الأبراج التي شيّدها الرومان، وهو مغلق ولا يمكن أن يصعد أحد إليه لأنّه متصدع ومهدد بالسقوط، خاصة بعدما انهار جزء كبير منه. ويقول حارس القصر: «إنه معلم تاريخي يتطلب تدخل معهد حماية التراث بسرعة لترميمه، خصوصاً أنّه كان يجلب السياح، أما اليوم فيُمنع دخول عامة الناس إليه بسبب خطورته».

وبات القصر موضع دراسة من خبراء وباحثين كثيرين في التاريخ والآثار، خصوصاً أنّه بني باستخدام الحجارة نفسها التي شيّدت بها الحصون الرومانية في عدة مناطق بتونس. ويقول عبد الغفار (81 عاماً)، أحد سكان تاكلسة: «تحتوي المنطقة على آثار كثيرة على غرار الساعة المحفورة بالأرقام الرومانية على أحد جدران القصر الذي يتضمن دهاليز لم تكشف. وهناك حجارة وصخور وقطع أثرية يجب أن يدرسها خبراء التاريخ والآثار لإنقاذ ما بقي من القصر الذي كان يحدث حركة سياحية كبيرة في المنطقة، سواء من تونسيين أو أجانب يتوافدون إلى شاطئ المنطقة ويكتشفون القصر الذي لم يعرّف كثيراً في الكتب والمراجع.

باختصار

يُطل قصر الأمراء على شاطئ مرسى الأمراء بمدينة نابل في تونس، ولا يزال بعض صخوره متماسكاً ويحافظ على معالم البناء

■■■

أحدثت وسيلة بورقيبة تغييرات في القصر حين أقامت فيه، إذ جمع المهندسون بين الطرازين المعماري القديم للرومان والحديث

■■■

القصر معلم تاريخي كان يجلب السياح، أما اليوم فيُمنع دخول عامة الناس إليه بسبب خطورته

وأخيراً

أنساك... ده كلام؟

سعدية مفرح

تقول الستّ أم كلثوم، في واحدة من تساؤلاتها التعجّبية «أنساك... ده كلام؟.. أهو ده اللي مُش ممكن أبداً...»، ولا ندري إن كانت الستّ في أغنيتها (كلمات مأمون الشناوي وألحان بليغ حمدي)، قد نسيت أمّ أنّها أثبتت لنفسها على الأقلّ أنّ هذا «مش ممكن أبداً». لكن في أيّ حال، لا تنفي حالة أمّ كلثوم في تلك الأغنية واقع النسيان في حياة البشر، ليس بالطبيعة وحسب، ولكن أيضاً حاجةً. في سجلّ مديح النسيان، يقول ابن حزم الأندلسي إنّ النسيان هو «رحمة من الله بعباده، لكي ينسوا أحزانهم وآلامهم»، ويقول جبران خليل جبران إنّ «الذاكرة هي سجن العقل، والنسيان هو تحرّره». ويقول غازي القصيبي: «سبحان من وهب الإنسان نعمة النسيان لأنّها في بعض الأحيان تشكّل طريقة لحماية النفس والهرب من مآسي الحياة ومشكلاتها المُستعصية»... وغيرهم كثيرون دبجوا المدائح في تلك الظاهرة النفسية، التي تداهمنا أحياناً فتعصف بذكرياتنا أو في بعضها، لتتركنا في مهبّ الحيرة مما يحدث لنا. لماذا ننسى؟ هل بإرادتنا الحرّة واختيارنا الواعي؟ أم أنّ ذلك يحدث رغماً عنّا، ليضعنا أمام ضآلتنا الكونية وضعفنا البشري، بعيداً عن رحمة الله بخلقه؟

النسيان، إذن، أحد أكثر الظواهر النفسية تعقيداً وغموضاً في حياتنا بشراً، وهو عملية نفسية مُعقّدة تتداخل فيها عوامل كثيرة من الذاكرة والمعلومات والقدرة على الحفظ، والسياقات الاجتماعية والثقافية، والصحّية أيضاً. والنسيان في اللغة هو «زوال الشيء من الذهن والفكر»، أي فقدان الذكرى أو المعلومة أو الحدث من الوعي والذاكرة. وقد يكون هذا الفقدان جزئياً أو كلياً. وينظر إليه بعضهم بوصفه عيباً أو نقصاً في الشخصية، بينما ينظر إليه آخرون عمليةً طبيعيةً وضروريةً للصحّة النفسية. ولأهمّيته وانتباه البشر له مُبكّراً، انشغل به الفلاسفة والعلماء عبر التاريخ، فدرسه أفلاطون وأرسطو وسقراط، والعديد من فلاسفة اليونان القدماء، وربطوه بقضايا الذاكرة والمعرفة والتفكير. وفي العصور الوسطى، ربط الفلاسفة المسيحيون النسيان بالخطيئة والذنب. أمّا في العصر الحديث، فحظي النسيان باهتمام علماء النفس والأعصاب، الذين درسوا آليات عمله والعوامل المُؤثّرة فيه، فخلصوا إلى أنّ النسيان ليس مُجرّد عيب أو نقص في الذاكرة، بل جزء طبيعي من عمل الدماغ البشري، وظاهرة طبيعية وضرورية في حياتنا ولأجسادنا، فالدماغ لا يستطيع الاحتفاظ بكلّ المعلومات والأحداث التي نمرّ بها، ولذلك ينظّم المعلومات، ويحتفظ بما هو مهمّ، ويتخلّص مما هو غير ضروري، وهو ما يساعد في الحفاظ على التوازن العقلي والنفسي. كما أنّه يسمح لنا بالتركيز على الحاضر والمستقبل، بدلاً من الغرق في الماضي، والتخلّص من الذكريات المؤلمة والمصادر النفسية السلبية، بالإضافة إلى تخفيف العبء المعرفي على الدماغ للتكيّف مع المتغيّرات المُستجدّة. ولهذا، فالنسيان حقيقةً علميةً جزءٌ لا يتجزأ من حياتنا اليومية، فنحن ننسى أشياء كثيرة كلّ يوم، من الأحداث الصغيرة إلى المواعيد والمَهام المُهمّة، والوجوه والمعلومات والحكايات والقصائد. ننساها ولا نعرف أين ذهبت بالضبط، وهل ضاعت منّا إلى الأبد أم أنّها ستعود في لحظة مستحقّة ذات يوم؟ يحدث هذا وذاك كثيراً، ورغم أنّه يحدث للجميع، لكن بنسب متفاوتة بالتأكيد، ولأسباب عديدة، منها طبيعية كالتقدم في السن أو الإرهاق العقلي، وأخرى نفسية كالاكتئاب أو الصدمات العاطفية. كما أنّ هناك أسباباً عضويةً كالإصابات الدماغية أو اضطرابات الذاكرة. ورغم الإحباط الذي قد نشعر به غالباً عند نسيان أشياء أو أحداث أو مَهمّة أو حتّى أشخاص معينين، إلا أنّ هذا كلّه لا يقارن بما يمكن أن يوفّره لنا النسيان من فرص جديدة دائماً لاكتشاف وصناعة أشياء وأحداث وتواريخ مُهمّة في حياتنا، أمّا من غاب، فهو يستحقّ الغياب فعلاً، وربّما لهذا قال خورخي بورخيس: «النسيان هو الحكمة الأكثر إشراقاً في الحياة».

> يسمح لنا النسيان بالتركيز على الحاضر والمستقبل، وبتخفيف العبء المعرفي على الدماغ للتكيّف مع المتغيّرات

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,50**, Austria **€ 2,50**, Belgium **€ 2,50**, France **€ 2,50**, Germany **€ 2,50**, Holland **€ 2,50**, Italy **€ 2,50**, Spain **€ 2,50**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 10,00**, USA **$ 2,00**